

الفصل السادس

العلاقات الانسانية ودورها في تعليم الكبار (*)

١ - معنى العلاقات الانسانية :

تستعمل كلمة العلاقات في كثير من الأغراض ، وتطلق على نواح كثيرة من ألوان النشاط الانساني والاجتماعي فهناك العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية بين الدول ، وهناك العلاقات العاطفية والاجتماعية بين الافراد وهناك العلاقات الانسانية وروابط المودة التي تسود بين فردين أو بين أعضاء الأسرة أو الجماعة الممينة والتي تؤدي اذا كانتيجابية الى تحقيق الأهداف كما تؤدي الى تعويق رسالة الجماعة وتعطيل الأدوار والوظائف التي ينبغي أن يقوم بها أفرادها وذلك اذا كانت سلبية ، وهذا النوع الأخير من العلاقات الانسانية وآثارها الايجابية والسلبية هو ما سوف نناقشه في الصفحات التالية .

٢ - نماذج من العلاقات التي تسود بعض الجماعات وبيان آثارها السلوكية :

لقد دلت الدراسات التي أجريت بقصد التعرف على العلاقات الانسانية التي تسود بين المعلمين والدارسين من المراهقين والشباب سواء دخل الصف اندراسي أو خارجه أثناء النشاط الرياضي والاجتماعي والعلمي والفني ، وكذلك أثناء الحفلات الترفيهية والرحلات الكشفية والمسكرات وبحوها - على وجود ألوان ونماذج مختلفة من الروابط الانفعالية ومن أساليب المعاملة التي تسود بين المعلم ورائد الجماعة وبين الدارسين أو أعضاء تلك الجماعة ، ودلت تلك الدراسات على أن هذه العلاقات الانسانية السائدة تؤثر على سلوك الجماعة ككل وعلى أهدافها وعلى درجة فاعليتها ونجاحها في تحقيق رسالتها وقيامها بأداء دورها المطلوب ، كما وجد أنها تؤثر على سلوك الأفراد وعلى علاقاتهم الشخصية والاجتماعية خارج تلك الجماعة ، ومن نماذج تلك العلاقات ما يلي :

(١) علاقة تتصف بدرجة عالية من الحب والخشية ، ويقوم المعلم أو الرائد فيها بدور يشبه دور الأب الى حد كبير ، دور الأب الحازم الذي تقوم تصرفاته دائما على العقل والمنطق والذي يجمع في معاملته لابنائه

(*) للدكتور حامد الفقي .

بين العدل والرحمة . مثل هذا المعلم أو الرائد يفوز فى اغلب الأحيان بحب طلابه أو أعضاء الجماعة التى يقودها ، وهم من أجل ذلك يحاولون البعد عما يفضبه ويحرصون على الاحتفاظ بحبه .

اما الآثار السلوكية لهذا اللون من العلاقات الانسانية الإيجابية فقد وجد انها أصبحت نمطا سلوكيا لكثير من افراد الجماعة يتبعه فى تعامله مع الآخرين خارج الفصل أو خارج الجماعة وهذا ما نسميه فى علم النفس بعملية التقمص أو التوحد حيث يعجب الفرد بشخصية معينة أو بمبدأ أو سلوك معين فيتمثله أو يتخذه المثل الأعلى له فى حياته وعلاقاته مع الآخرين .

(ب) علاقة تتم بدرجة عالية من الحب ولكن دون خوف أو خشية أو مع درجة قليلة من هذه الخشية ، وقد لوحظ أن شخصية المعلم أو الرائد فى مثل هذه الجماعات شخصية جذابة ، وعلى حظ كبير من الذكاء والثقافة وسعة الأفق والتعاطف والديمقراطية فى القيادة ، ويعتمد التفاعل بين مثل هذا المعلم أو الرائد وبين طلابه لكبار أو أعضاء جماعته على أساس من الفهم والتفاهم المتبادل والادراك الواعى لأهداف الجماعة ، ورسالتها ومستوليقاتها ، وعلى أخذ حاجات الأفراد ومشكلاتهم فى الاعتبار والمشاركة الإيجابية فى هذه المشكلات .

اما الآثار السلوكية لهذا اللون من العلاقات الانسانية فهى ارتفاع درجة الترابط وازدياد الثقة المتبادلة والحرص على نجاح الجماعة وعلى تحقيق أهدافها ، وقد أصبحت هذه العلاقات نمطا سلوكيا لبعض أفراد الجماعة على النحو الذى تقدمت الإشارة إليه .

(ج) علاقة تقوم على الخوف والرغبة فقط ، وليس فيها شيء من الحب ولا من الاحترام وقد وجد أن شخصية المعلم أو الرائد فى مثل هذه الجماعات شخصية عدوانية تميل الى التسلط والسيطرة فهو يصدر الأوامر والتعليمات ويطلب من الدارسين أو من أفراد الجماعة أن ينفذوها دون مناقشة ودون أن يسرهم فى الأمر .

وتؤدى عدوانية المعلم أو الرائد وتسلطه الى أن يصبح الكثير من الدارسين عدوانيين بالنسبة لبعضهم البعض وبخاصة مع من دونهم أو أصغر منهم ، كما تؤدى مثل هذه العلاقات الى فقد الثقة بين المعلم والدارسين والى عدم الحرص على نجاح الجماعة فى تحقيق أهدافها ، ويفقد الكثيرون من أفراد هذه الجماعة الشعور بالأمان كما يفقدون شعور الانتماء والولاء والاعتزاز بهذه الجماعة .

(د) علاقة قائمة على الكره الشديد وعلى الخوف والرغبة ، وقد لوحظ أن شخصية المعلم أو الرائد فى مثل هذه الجماعات شخصية مرذية تميل

الى تدبير الشر ، والى الايقاع بين الدارسين أو بين أفراد الجماعة ، ومثل هذه العلاقات نادرة الوجود فى الأوساط والمؤسسات التربوية كالمدارس والمعاهد العلمية ، ولكن يكثر وجودها فى المؤسسات الادارية والجماعات المكتبية التى قد يعمد الرئيس أو القائد فيها الى اشاعة الفرقة والخلافات بين مرءوسيه وتابعيه وذلك لى يضمن عدم اتحادهم ضده ويسهل له بذلك السيطرة عليهم ، كما توجد مثل هذه العلاقة بين المعاصبات والجماعات الخارجة على القانون والتى لا يملك افرادها الا الطاعة المظهرية والا تعرضوا للابذاء والانتقام .

وتؤدى مثل هذه العلاقة الى آثار سلوكية ونفسية ضارة ، فقد تؤدى الى ان يتحد افراد الجماعة مع بعضهم سرا لتدبير المؤامرات أو تليفق التهم ضد بعضهم البعض أو ضد الرئيس أو القائد أو يحاولون حماية انفسهم بالانتقاض والمدوان وقد تؤدى الى نتائج سلبية ، فقد ينفس الدارسون عن ثورتهم المكبوتة ضد عدوانية المعلم ومرامته وقوته بأساليب سلبية مختلفة فيمتدون على المدرسة أو على ائاثها ، وقد ينفجرون فى وجه مدرس آخر يرى يعقب المدرس العدوانى وهذا ما يسمى فى علم النفس بالاسقاط .

(هـ) وهناك علاقات اخرى جانبية بعضها ايجابية وبعضها سلبى كشفت عنها الدراسات بين بعض افراد الجماعة أو بين البعض وبين شخصية المعلم أو الرائد ، فقد لوحظ انه اذا كانت شخصية المعلم أو المعلمة جذابة أو كانت المدرسة على جانب من الجمال والأنوثة وتعمل مع افراد من الجنس الآخر أو كان المعلم شابا وجيها يعمل فى مدرسة بنات - فان علاقات عاطفية تنشأ من طرف واحد غالبا بين بعض الدارسين أو الدراسات وبين هذه الشخصية. وقد تحدث بين المدرسين والمدرسات اذا وجد الجنسان فى عمل مشترك ، وقو يؤدى مثل هذه العلاقات الى بعض السلبيات ، والى شيوع عوامـل الفيرة والوشاية ، والى كثرة الاتهامات ، ويحتاج من يتعرض الى مثل هذه المواقف الى درجة كبيرة من الموضوعية والحياد فى تعامله مع الدارسين أو الدراسات أو مع الزميلات .

وقد توجد جماعات جانبية صغيرة وسط العف الدراسى أو داخل الجماعة الكبيرة ، ويرجع السبب فى وجود مثل هذه الجماعات الجانبية أو الشلل الى اتفاق فى الأمزجة أو الاهتمامات بين بعض الأفراد أو الى قيام أحد الأفراد باشباع نزوات أو قضاء حاجات هؤلاء الأفراد ومن ثم يلتفون حوله ويكونون جبهة ، وقد تعطل مثل هذه الجماعات الجانبية أو الشلل عمل الجماعة أو تعرقل سيرها نحو الأهداف المرجوة .

وقد توجد جماعات جانبية ايجابية داخل الجماعات الكبيرة ، وغالبا ما يجمع افرادها مبدءا دينى أو خلقى أو قيم اجتماعية فاضلة ، ويغلب على . ٩٠ -

رواد مثل هذه الجماعات أن يكونوا دعاة أكثر منهم إلى أن يكونوا عملاً ، كما في المجموعات السابقة . وإذا تخلت مثل هذه الجماعات الإيجابية الجانبية الأخيرة عن التعصب والتزمت كانت لها آثار إيجابية على أهداف الجماعة ورسالتها .

٣ - أبعاد نمو العلاقات الإنسانية بين الدارسين الكبار :

(أ) أن يفهم الدارسون الكبار معنى العمل في جماعة وما تستلزمه عضوية هذه الجماعة من مسؤوليات وضوابط وتضحيات الخ . .

(ب) أن يفهم الدارس الكبير عمل الجماعة وأهدافها ، ودوره فيها مسؤولياته نحوها .

(ج) أن تتيج جماعة الدارسين الكبار لكل فرد فيهم أن يعبر عن حاجاته ، ومشكلاته وأن ينتقد بطريقة إيجابية عمل الجماعة . كما تشجعه على المناقشة وعلى المبادرة والابتكار وتدريبه على الاستقلال وعلى تحمل المسؤولية داخل الجماعة .

(د) أن تعمل الجماعة على استثمار القدرات الخاصة والمواهب والاستعدادات المختلفة لدى الدارسين الكبار ، وعلى الاستفادة بما لديهم من خبرات وتجارب فنية أو اجتماعية .

(هـ) أن تدرب الجماعة أفرادها على المناقشة الجماعية والالتزام بمبادئها أثناء عقد الجلسات والمؤتمرات أو داخل الفصل ، وأهم هذه المبادئ :
تقبل آراء الآخرين واحترام وجهة نظرهم وتقدير مشاعرهم وعدم الاستخفاف أو البخورية ونحو ذلك من الأمور التي تؤدي إلى انقسام الجماعة ونفيم جهودها ووقتها دون الوصول إلى نتيجة إيجابية أو إلى قرار حاسم .

(و) وأخيراً فإن إحساس الجماعة بنجاحها في أداء رسالتها وتحقيق أهدافها وفي إشباع حاجات أعضائها وإظهار مواهبهم وشخصياتهم من أهم العوامل التي تؤدي إلى تقوية الروابط والعلاقات الإنسانية بين أفرادها .

طبيعة الوظائف القيادية :

القيادة في علم النفس الاجتماعي عبارة عن ظاهرة اجتماعية نفسية تساعد على ظهور سمات معينة يتصف بها شخص ما في موقف معين وسط جماعة معينة ذات أوضاع وسمات معينة وحجم معين وذات نظام وأهداف

معينة ، والقيادة بهذا المعنى تختلف عما نمنيه فى هذا المقام ، وما نمنيه هنا هو القيادة الوظيفية ذات الوظائف المحددة والأدوار المعينة وبهذا المعنى الأخيرة فالمعلم ورائد المجموعة يعتبران من القادة التربويين . والقيادة بمعناها النفسى وبمعناها الوظيفى أنواع : فهناك القيادة الديمقراطية والتي تقوم على المشاركة والشورى الجماعية فى إدارة الجماعة وفى تحمل المسؤوليات . وهناك القيادة الديكتاتورية المتسلطة أو البيروقراطية الجامدة التى تتمركز فيها السلطة فى يد الفرد أو فى يد قلة من الأفراد الذين يحتلون مركز القيادة ، وتختلف القيادة الديمقراطية عن الأوتقراطية فى أن القائدالديمقراطى يشارك الجماعة فى الأنشطة المختلفة ، فهو يشترك مع الجماعة فى تحديد الأدوار وفى توزيع المسؤوليات وفى فهم الحاجات والمشكلات والأهداف ، كما أنه لا ينزل عن الجماعة ولا يستعلى عليها ، وإنما يعمل على تحقيق التكامل بين دوره والأدوار الأخرى للجماعة بحيث لا يطفى على الجماعة ولا تطفى الجماعة عليه ولا يسلب أحد سلطات أو أدوار أو مسؤوليات الآخرين .

أما القيادة غير الديمقراطية فتستولى على جميع السلطات أو الأدوار وتتدخل فى كل صغيرة وكبيرة ولا تترك لأفراد الجماعة الفرصة لتحمل المسؤولية ولا تعطيهـم الحرية فى اتخاذ قرار ، ولا تدربهم على مواجهة المشكلات وحلها ، وإنما يقوم الأعفاء بالتنفيذ الآلى للتعليمات والقوانين والقرارات التى تصدرها القيادة حتى وإن لم يكونوا مقتنعين بجوداها بل ورغم اعتقادهم فى خطأ ما ينجزون .

ولا يتسع المقام هنا لشرح الآثار النفسية والسلوكية والاجتماعية المترتبة على كل لون من ألوان القيادات المختلفة ، ولعل فى النماذج التى سبق تقديمها من ألوان العلاقات الإنسانية وآثارها السلوكية ما يبنى عن التكرار.

أما القيادة التربوية التى ينبغى أن توجد فى المدرسة أو فى فصول الدارسين الكبار فهى القيادة الديمقراطية ، ولا بديل عنها ، وعلى معلم الكبار أن يمارس هذه القيادة الديمقراطية فى تعامله مع الكبار ممارسة فعلية وليست نظرية فالعمل مع هؤلاء الكبار ينبغى أن يقوم على المشاركة الجماعية ، وما قامت فكرة أعمال الجماعات ، وتقسيم الدارسين الكبار الى مجموعات عمل الا لتدريبهم على الديمقراطية والمشاركة والتعاون فى سبيل تحقيق أهداف الجماعة ، وتعتبر القيادة أو الريادة الديمقراطية فى التعليم بصفة عامة وفى تعليم الكبار بصفة خاصة ضرورة اجتماعية وقومية إذ أن الهدف الأساسى فى أى عملية تعليمية هو إعداد المواطن الحر المستقل الذى يستطيع أن يتحمل مسؤولية القيادة فى المستقبل ويستطيع أن يتعاون مع غيره من أفراد المجتمع فى سبيل تحقيق الأهداف الاجتماعية العامة والفردية الخاصة ، ولا يمكن للقيادة التسلطية أو البيروقراطية أن تخلق مثل هذه

الشخصيات ولكن القيادة الديمقراطية هي التي تستطيع تحقيق ذلك حيث انها توفر جوا من التنافس الحر الايجابي ، وتقوم على الاتصال المفتوح وتعتمد على الشورى وعلى المناقشة الجماعية وعلى الحوار البناء والنقد الهادف . وهذه هي الاسس النفسية الضرورية لتكوين الشخصيات التي لا تعاني من التردد والقلق والشك أو فقدان الثقة ، والتي يمكن أن تتخلص من السلبية والانطوائية والعداية التي تسببها القيادة التسلطية هذا فضلا عن أن العلاقات الانسانية التي تقوم على الديمقراطية تحقق النمو السليم للأفراد نفسيا واجتماعيا .

وقد تبدو الوظائف القيادية متعارضة في الظاهر ، اذ ان هناك مطلبين أساسيين يواجهان القائد التربوي معلما كان أو رائدا أو غيرهما :

الأول - مطلب عملي يتمثل في ضرورة انجاز الأهداف العملية والادارية وضبط الجماعة ، وتنفيذ الخطة وأداء الأدوار والمسئوليات المحددة .

الثاني - مطلب نفس اجتماعي يتمثل في العمل على اشباع حاجات الأفراد أو الدارسين وحل مشكلاتهم . وتوفير الرعاية لهم جسميا واجتماعيا واقتصاديا ، وتحقيق النمو لهم تربويا ومهنيا .

ويهدف المطلب الأول الى انجاز الخطة وتحقيق المنهج والوصول الى نتائج مادية ملموسة ، كما يهدف المطلب الثاني الى تحقيق تماسك الجماعة ووحدتها وعدم ترب أفرادها وعدم سلبيتهم .

والمطلبان قد يبدوان في الظاهر متعارضين ، ولكنهما في الواقع متلازمان اذ ان نجاح الجماعة في تحقيق الأهداف العلمية والمادية يساعد على تماسكها ووحدتها وتبادل الثقة بين أفرادها كما مرت الاشارة اليه . كما أن الاهتمام بأفراد الجماعة دارسين كانوا أو عاملين ورعايتهم نفسيا واجتماعيا ضروري لضمان حسن الاداء والايجابية في الاقبال على العمل واداء الأدوار المحددة على الوجه الاكمل .

فالاهتمام بالمطلب النفسي والاجتماعي او بالمطلب الانساني هو في الحقيقة اهتمام بالمطلب العملي والمادي ولكن بطريقة غير مباشرة .

وقد يغلب على بعض المعلمين والرواد أو بعض القادة التربويين الاهتمام بأحد المطلبين دون الآخر ، فيهتم بعضهم بالنظام والضبط ، وزيادة الانتاج وتذليل العقبات التي تعوق اداء الجماعة لدورها وينصرف أو ينشغل بذلك عن الاهتمام بالدارسين أو بأفراد الجماعة الذين يتوقف على سلامتهم

الجسمية والنفسية نجاح البرنامج أو الخطة أو نجاحه هو كمعلم أو رائد
فى تحقيق اهدافه .

وهناك طائفة اخرى من المعلمين أو القادة التربويين على العكس من
الطائفة السابقة يعرفون معظم اهتمامهم الى التواحي الاجتماعية والنفسية
للدارسين ويهتمون بمشكلاتهم وحاجاتهم ويعملون على تقوية الروابط الانسانية
فى داخل الصف أو الجماعة ، وينصرفون بسبب ذلك عن المطالب العملية
وتنفيذ البرنامج وتحقيق الاهداف التحصيلية أو التربوية أو المادية للجماعة
وكلا الفريقين على خطأ .

وهناك كثير من الاسباب والعوامل التى تدفع المعلم أو الرائد التربوى
الى تغليب احدى الفلسفتين على الأخرى ، وقد ترجع تلك الاسباب الى عوامل
نفسية أو الى اساليب التربية التى تعرض لها المعلمون أو الرواد فى طفولتهم
أو اساليب المعاملة التى لاقوها من اساتذتهم أو رؤسائهم قبل أن يصبحوا
قادة أو روادا ، وقد دلت الدراسات على أن الأشخاص الذين يغلب عليهم
دافع حب الذات واحترامها هم الذين تغلب عليهم الفلسفة النفسية الاجتماعية
والاهتمام بالنواحي الانسانية للدارسين أو الرؤوسين أما الأشخاص الذين
تغلب عليهم الفلسفة العملية والاهتمام بمطالب العمل أو تنفيذ البرنامج فهم
من الذين يغلب عليهم دافع القوة والسيطرة ، وقد يكون اهتمامهم بالمشاكل
العملية والتحدى لها تنفيسا عن دوافع العدوان المكبوتة أو مبانة فى
الاعتداد والثقة بالنفس .

أما القيادة التربوية المثالية فى التى تحاول الجمع بين الفلسفتين ، وتقيم
توازنا بين المطلبين ، وتسعى الى التوفيق بين مصلحة العمل وضبطه ونجاحه
وبين صالح الأفراد وراحتهم بحيث لا يطفئ احد الجانبين على الآخر ، والمعلم
أو الرائد المثالى هو الذى تكون استجابته المتعلقة بسير العمل وحل مشكلاته
سريعة نشطة كما تكون استجابته المتعلقة بأعضاء الجماعة أو الصف الدراسى
ومشكلاتهم استجابة تعاطفية وخاصة فيما يتعلق بظروفهم الصحية والنفسية .

وتغليب احدى الفلسفتين على الأخرى يؤثر فى حكم المعلم أو الرائد على
من يقوم بتقويمهم والحكم عليهم . فقد يتأثر بالفلسفة التى يؤمن بها أو تغلب
عليه وبالتالي يحكم على الأفراد الذين يؤمنون بفلسفته . بأنهم مثاليون . كما
يجوز فى الحكم على الأفراد الذين يختلفون معه فى هذه الفلسفة . وكذلك
الحكم على المعلم أو الرائد أو تقويمه بواسطة من فوقه أو من هم دونه قد
يختلف ، فبينما هو فى نظر من فوقه معلم مثالى أو رائد مثالى لان من فوقه
يتفق معه فى الفلسفة نجد أنه فى نظر الدارسين أو من هم دونه من الرؤوسين
معلم صارم أو قاس أو مستبد وذلك لان من دونه يهيم فى المقام الاول احوالهم
النفسية والاجتماعية ومشكلاتهم وحاجاتهم الانسانية .

وهذه الحقيقة المتقدمة تستدعى الحيلة والموضوعية عند التصدى لعملية
تقويم الأفراد والحكم عليهم .

واخيرا نود أن نقرر أنه ليست هناك علاقة معينة تصلح جميع الأفراد
فى جميع المواقف أو فى جميع المؤسسات أو الجماعات ، فهناك مؤسسات
معينة غير تربوية وهناك أفراد معينون وظروف معينة تستدعى لونا معيناً من
العلاقات ومن أساليب المعاملة .

خصائص العلاقات الانسانية الناجحة :

- ١ - أن تقوم على التقبل الإيجابى غير المشروط .
- ٢ - ألا يغلب الاهتمام بالجانب العملى على الجانب النفسى الاجتماعى .
- ٣ - أن يسود الفهم والتقبل والاحترام والثقة بين المعلم أو الرائد وبين
الأفراد .
- ٤ - أن يؤمن المعلم أو الرائد بقيمة الدارس كشخص وبكرامته كإنسان
وأن يتقبله لذاته فقط دون اعتبار آخر من جنس أو دين أو مدرسة أو مذهب
أو منفعة أو نحو ذلك .
- ٥ - أن تلتزم الجماعة بالأسلوب الديمقراطى فى العمل وبقواعد
المناقشة الجماعية وأساليبها .
- ٦ - أن يسمح جو الجماعة بنمو الأفراد نفسياً ومهنيًا وعلمياً واجتماعياً
بدرجة تحقق لهم الاستقلال الذاتى والتدريب على تحمل المسئوليات .